

تفسير ابن كثير

يقول تعالى مخبرا عن كفر هؤلاء المشركين في استعجالهم العذاب وسؤالهم عن وقته قبل التعيين مما لا فائدة لهم فيه كقوله : { يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق } أي كائنة لا محالة وواقعة وإن لم يعلموا وقتها عينا ولهذا أرشد تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم إلى جوابهم فقال : { قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا } الآية أي لا أقول إلا ما علمني ولا أقدر على شيء مما استأثر به إلا أن يطلعني الله عليه فأنا عبده ورسوله إليكم وقد أخبرتكم بمجيء الساعة وأنها كائنة ولم يطلعني على وقتها ولكن { لكل أمة أجل } أي لكل قرن مدة من العمر مقدرة فإذا انقضى أجلهم { فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون } كقوله : { ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها } الآية ثم أخبر أن عذاب الله سيأتيهم بغتة فقال : { قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بيانا أو نهارا ؟ } أي ليلا أو نهارا { ماذا يستعجل منه المجرمون * أثم إذا ما وقع آمنتم به الآن وقد كنتم به تستعجلون } يعني أنهم إذا جاءهم العذاب قالوا { ربنا أبصرنا وسمعنا } الآية وقال تعالى : { فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين * فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون } ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد { أي يوم القيامة يقال لهم هذا تبيكتنا وتقريرا كقوله : يوم يدعون إلى نار جهنم دعا * هذه النار التي كنتم بها تكذبون * أفسح هذا أم أنتم لا تبصرون * اصلوها فاصبروا أو لا تبصروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون }